American Board Linguistics and Literature Journal

مجلة البورد الأمريكي في اللغة والأدب

VOl 1. N 1. 2024/112 Manuscript received on 02.../..../01/2024 Accepted on 18.../.../05/2024

شاعرة أندلسية مشهورة – وَلَّادَةُ بِنتُ الْمُسْتَكْفِي

Famous Andalusian poet – Wallada bint al-Mustakfi

ما لويا(MA LUYA)

الجامعة الأردنية/ عمان/ الأردن،

Jordan University - Annan/Jordan

416983757@qq.com

المستخلص:

ولاّدة بنت المستكفي، ولدت في بيت الخلافة، وهي أميرة وابنة خليفة، وإن ولاّدة مع ميلها للأدب ونظمها للشعر، وقد نظمت الشعر الساحر والبارز في مجال الأدب الأندلسي، لكن ما ذكّرها إلا ما ذكّر الشاعر، لذا، علينا أن نذكرها ونعرّفها ونعرّف شعرها على القرّاء المولعين بالشعر العربي.

الكلمات المفتاحية:

شاعرة أندلسية مشهورة/ ولادة بنت المستكفي.

Abstract *:Wallada bint al – Mustakfi was born in the home of the Caliph and was the daughter of a princess and Khalifa. Her innate inclination towards literature and poetic systems, organized captivating, and prominent poetry in the field of Andalusian literature. In this thesis, will analysis what was her poet mentioned, what was her method for writing poetry, till understand her, and let readers who love Arabic poetry know about her poetry.*

Keywords*: Famous Andalusian poet, Wallada bint al – Mustakfi,*

ا. مقـــــدمة:

ولاّدة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن الناصر لدين الله الأموي، أميرة وابنة خليفة، وقد نظمت الشعر الساحر والبارز في مجال الأدب الأندلسي، لكن ما ذكّرها إلا ما ذكّر الشاعر، لذا، علينا أن نذكرها ونعرّفها ونعرّف شعرها على القرّاء المولعين بالشعر العربي.

ولاّدة بنت المستكفي بالله ولدت في بيت الخلافة، ونشأت في بيئة الشعر والأدب، وكان أبوها المستكفي بالله خليفة جاء قبل المعتمد بالله آخر خلفاء بني أمية في الأندلس وقد بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر وكان جاهلا ماجنا؛ وكانت

VOl 1. N 1. 2024/112 Manuscript received on 02.../....01/2024 Accepted on 18.../...05/2024

أمها أمة إسبانية اسمها سكرى. وقد تركا بنتا لم يذكر المؤرخون متى ولدت غير ولادتها في قرطبة ولم يقدموا لنا معلومات وفيرة، بل ولا حتى قليلة عن طفولتها وصباها وكل ما نعرفه عنها أنها كانت تعيش في قرطبة وأمضت فيها شبابها. ويبدو أن أبا ولاّدة قد اهتم بتثقيفها فأحضر لها المعلمين والمؤدبين ولم تلبث أن تفتحت مواهبها.

وقد ورثت ولادة من أمها بشرتها البيضاء وشعرها الأصهب وعينها الزرقاوين" كما ورثت من أبويها كليهما ميلها إلى المرح والتلفت من قيود المجتمع والجرأة على الفساد."

"ولما خلع أبوها المستكفي بالله ثم قتل برزت ولادت للحياة العامة – وهي بعد في نحو الخامسة عشرة من العمر أو فوق ذلك – وانتقلت من قيودها". ثم أصبح بيتها مثابة الوزراء والأدباء من الطبقة العالية فتخالطهم وتناضلهم وتساجلهم وتفوقهم" ونالت من الشهرة فوق ما تتمنى وما سبقت فيه معاصريها من الشعراء الرجال لأنها اقتحمت عالم المجد عن طريق الحب ولم تركب له الكلمة أو البيت أو القصيدة فحسب،"وكانت "تطلق لنفسها العنان وتجاهر بحياتها الحرة." وقد خصها المقري بفصل خاص في "نفح الطيب" تحدث عنها وعن جمالها وأورد لها شيئا من الشعر فقال:

"وخرجت هي في نهاية من الأدب والظرف: حضور شاهد وحرارة أوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها."

"وهكذا كان لها أن تعبث، وكان لها جمالها وشعرها تغنيها ويغني لها في مجلسها الأدبي الذي كان يضطرم فيه الهوى والفن والشعر."

وكانت يظهر أنها ماجنة خليعة، كتبت على عاتقي ثوبها كلاما قبيحا لا حاجة إلى عرضه في هذا المكان.

"وهكذا نرى أن ولاّدة مع ميلها للأدب ونظمها للشعر كانت مولعة بالحب مستسلمة للعبث، ولكنها لم تتزوج طوال حياتها وقد أولع بها ابن زيدون وأولعت به وربط المؤرخون ذكرها بذكره." وقد "اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس، وكانا يهويانها، ولكنها تود الأول وتكره الثاني، حتى وقع بينهما ما وقع،" فكتب ابن زيدون لابن عبدوس قصيدة عنيفة بعض العنف يعاتب فيها على التغير ويذكر ولادة معرضا بقوله:

وَغَرَّكَ مِنْ عَهْدِ وَلاَّدَةٍ سَرَابٌ تَرَاءَى بَرْقٌ وَمَضْ

هِيَ المْاَءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ وَيُمْنَعُ زُبْدَتَهُ مِنْ مَخَضْ

وتمّ هذا بعد الرسالة الهزلية التي كتبها ابن زيدون على لسان ولاّدة تخاطب بها ابن عبدوس، وفي هذه الرسالة:

"أما بعدُ، أيها المصابُ بعقله المورَّط بجهله البيّن سَقَطُه الفاحش غَلَطُه ... الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافُتَ الفراش في الشهاب فإن العُجْبَ أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب وإنك راسلْتَني مستهديا من صلتي ما صفُرتْ

VOl 1. N 1. 2024/112 Manuscript received on 02.../....01/2024 Accepted on 18.../...05/2024

منه أيدي أمثالك ... مرسلا خليلتك مرتادة ... كاذبا نفسك أنك ستنزل عنها إليّ وتخلُفُ بعدها عليّ ..."

ولكن هذا الحب بينهما لم يستمرّ لوقت طويل حتى ما لبث أن حدث الاهتزاز فيه فانصرفت ولاّدة عن ابن زيدون إلى ابن عبدوس، فوجدت عند هذا المحب الثاني العيش اللين المريح الذي كفل لها.

وقد ذكر المؤرخون أن ولاّدة عمرت عمرا طويلا، حتى زاد عمرها على أكثر من ثمانين سنة ولم تتزوج قط وماتت بقرطبة في سنة 484هـ.

II. شعر ولاّدة بنت المستكفي ونماذج منه:

وكانت ولاّدة – كما نعلم –أديبة وشاعرة وجزلة القول وحسنة الشعر، وهي من أشهر الشاعرات في الأندلس.

وفي شعرها رقة وعذوبة وسهولة ووضوح في الألفاظ مهما كان الغرض الذي قيل فيه، ودلّ هذا على أن ألفاظ شعرها تجري على الطبع بدون أيّ تكلف وتصنع أو تحميل الألفاظ ما لا تتسع مع المعاني.

ومن الأمثلة على ذلك الشعر الذي يمتاز بالرقة والعذوبة قولها من بحر الطويل:

أَلاَ هَلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّفَرُّقِ سَبِيلٌ فَيَشْكُو كُلُّ صَبٍّ بمَا لَقِي

وَقَدْ كُنْتُ أَوْقَاتَ التَّزَاوُرِ فِي الشِّتَا أَبِيتُ عَلَى جَمْرٍ مِنَ الشَّوْقِ مُحْرَقِ

فَكَيْفَ وَقَدْ أَمْسَيْتُ فِي حَالِ قطعةٍ لَقَدْ عَجَلَ الْمَقْدُورُ مَا كُنْتُ أَتَّقِي

تَمُرُّ اللَّيَالِي لاَ أَرَى الْبَيْنَ يَنْقَضِي وَلاَ الصَبْرَ مِنْ رِقِّ التَّشَوُّقِ مُعْتَقِي

سَقَى اللهُ أَرْضاً قَدْ غَدَتْ لَكَ مَنْزِلاً بِكُلِّ سَكُوبٍ هَاطِلِ الْوَبْلِ مُغْدِقِ

وقد قالت ولاّدة هذه الأبيات بعدما انقطعت علاقتها مع ابن زيدون فترة وغاب عنها بعضَ الوقت فأرادت أن يعودا صديقين كما كانا.

وأتت ولاّدة في هذه الأبيات بصورة عبرت فيها عما في نفسها من الاشتياق.

فأجابها ابن زيدون بقوله:

لَحَا اللهُ يَوْماً لَسْتُ فِيهِ بِمُلْتَقٍ مُحَيَّاكِ مِنْ أَجْلِ النَّوَى وَالتَّفَرُّقِ

وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعيشُ دُونَ مَسَرّةٍ وَأَيُّ سُرُورٍ لِلْكَئِيبِ الْمُؤَرَّقِ

ومن ذلك أيضا قولها لأبي الوليد من بحر الطويل:

تَرَقَّبْ إِذَا جَنَّ الظَلاَمُ زِيَارَتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتَمَ لِلسِّرِّ

وَبِي مِنْكَ مَا لَوْ بِالشَّمْسِ لَمْ تَلُحْ وَبِالْبَدْرِ لَمْ يَطْلُعْ وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسْرِ

وكان أبو الوليد قد هام في أيام الشباب بولاّدة وهي كانت غادة فلما قدر اللقاء وساعد القضاء كتبت إليه هذه الأبيات.

فالألفاظ التي استعملتها ولاّدة هنا واضحة سهلة عذبة رقيقة بعيدة خالية من الخشونة والغرابة؛ غير الألفاظ في شعر

VOl 1. N 1. 2024/112 Manuscript received on 02.../....01/2024 Accepted on 18.../...05/2024

الهجاء الذي كانت ولاّدة تهجو به، ذلك لأن هذا النوع من الشعر يمتزج فيه شيء من الخشونة والغرابة، كقول ولاّدة تهجو به ابن زيدون:

لَوْ كَنْتَ تُنْصِفُ فِي الهَوَى مَا بَيْنَنَا لَمْ تَهْوَ جَارِيَتِي وَلَمْ تَتَخَيَّرِ

وَتَرَكْتَ غُصْنًا مُثْمِرًا بِجَمَالِهِ وَجَنَحْتَ لِلْغُصْنِ الّذِي لَمْ يُثْمِرِ

وَلَقَدْ عَلِمْتَ بَأَنَّنِي بَدْرُ السماء لَكِنْ وَلِعْتَ لِشَقْوَتِي بِالمُشْتَرِي

وكانت لولاّدة جارية سوداء مغنية فمال إليها ابن زيدون حتى وجدت ولاّدة يومًا أنه سأل هذه الجارية وهو في بيت ولاّدة أن تعيد الغناء دون إذن منها فغارت عليه منها وعتبته عتابا فباتا على هذا العتاب في غير اصطحاب حتى إذا كان الصبح وبادر هو إلى الانصراف كتبت إليه هذه الأبيات المذكورة.

ونلاحظ من هذه الأبيات أن في عتب ولاّدة على ابن زيدون تعال وخشونة وذلك أنها "كانت تحب نفسها أولا فهي متعالية عنيفة تتصرف كأميرة حتى حين تعاتب محبا لها."

وقد جاءت هذه الأبيات على بحر الكامل مع ما فيه من الزحافات:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وأهمّ أغراض الشعر التي نظمت ولاّدة فيها الهجاء والمجون:

فالهجاء عندها لم يكن عفيفًا كما كان في شعر حفصة بنت الحاج الركونية، بل هو "مؤلم فاحش سفيه،" وأنه انحدر نحو نوع من الفحش، وذلك لأنها كانت ماجنة كقولها لما مرت بالوزير أبي عامر ابن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الأمطار، وربما استمدت بشيء مما هنالك من الأقذار، وقد نشر أبو عامر كميه وحشر أعوانه إليه:

أَنْتَ الخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فَكِلاَكُمَا بَحْرُ

وقالت أيضا:

إنَّ ابْنَ زَيْدُونَ عَلَى فَضْلِهِ يَلْهَجُ بِي شَتْمَا وَلاَ ذَنْبَ لِي

يَلْحَظُنِي شَزْرًا إِذَا جِئْتُهُ كَأَنَّمَا جِئْتُ لأَخْصِي (عَلِي)

فهذه الأبيات من بحر السريع، مع ما فيه من الزحافات في العروض والضرب والحشو:

مستفعلن مستفعلن فأعلن مستفعلن مستفعلن فأعلن

وأما قولها في المجون فكثير جدا، لا أريد أن آتي بالأمثال في هذا المكان لما فيه من كلام قبيح وصور قبيحة.

III. خاتمة

VOl 1. N 1. 2024/112 Manuscript received on 02.../....01/2024 Accepted on 18.../...05/2024

على الرغم من أن كثيرا من المصادر قد وردت فيها قصة هذه الشاعرة العظيمة مع ابن زيدون وابن عبدوس، إلا أن الشعر الذي وصلنا منها قليل جدا، اللهم إلا بعض القصائد والأبيات المقطوعات القليلة. وقد اكتفيت بهذا القدر من نماذج شعر ولاّدة، مع أن هناك قصائد أو أبيات مقطوعات أخرى، ولكن معظمها يدور حول ذلك المجون الفاحش الذي لا يقبله ذوق الإنسان المصلح. ولها حظ وفير من الشعر، وهي ميزة فاقت بها الأندلس غيرها من أصقاع البلاد الإسلامية، وكان هناك عدد غير قليل من الشاعرات، بل اشتهرت بين الشعراء والشاعرات.

حافظت في شعرها على نهج الشعر المشرقي في الأغراض والأوزان، فسلكت مسلك شعراء بني العباس لتشابه البلاد بالنعمة والخضب والعمران، فوصفت بيئتها وأحوالها أيضا.

الهوامش:

01 . في الأدب الأندلسي، الدكتور جودت الركابي، ص166

02. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، 699/4.

03. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، 700/4.

04 . دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، الدكتور الطاهر أحمد مكي، ص86.

05 . في الأدب الأندلسي، الدكتور جودت ركابي، ص166.

06 . نفح الطيب للمقري، 208/4.

07. في الأدب الأندلسي، الدكتور جودت ركابي، ص165.

08. نفح الطيب المقري، 205/4.

09 .الْمُوَرَّطُ بِجَهْلِهِ: الذي يورط (يوقعه) جهله فيما لا خلاص له منه." - انظر لسان العرب مادة ورط، 425/7.

10. تاريخ الأدب العربي عمر فروخ، 598/4.

12 . تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، الدكتور إحسان عباس، ص164.

13. المصدر السابق، 205/4.

14. نفح الطيب للمقري، 206/4-207.

15. المصدر السابق، 207/4.

16. نفح الطيب للمقري، 206/4.

17. دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة الدكتور الطاهر أحمد مكي، ص88.

18. نفح الطيب للمقري، 205/4.

19. تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، الدكتور إحسان عباس، ص162-163.

VOl 1. N 1. 2024/112 Manuscript received on 02.../....01/2024 Accepted on 18.../...05/2024

20. دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، الدكتور الطاهر أحمد مكي، ص88.

21. تاريخ الأدب العربي، عمر فاروخ، ص700/4.

22. نفح الطيب للمقري،208/4.

23. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، ص225.

24. عروض هذا البحر في الأصل (مفعولات)، ولكنها لا تبقى صحيحة وإنما تأتي على: فاعلن أو فعَلن؛ وأما ضرب هذا البحر فيأتي على: فاعلن أو فعْلن أو فاعلاتْ إذا كانت العروض أتت على (فاعلن)؛ وإذا كانت العروض أتت على (فعَلن) يأتي الضرب على: فعَلن أو فعْلن. – انظر علم العروض والقافية، الدكتور عبد العزيز عتيق، ص86-88.